قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالى
ما انزل الله على بشر من شيء انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على
اليهود انشدك بالذي انزل التوراة على موسى عليه السلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين قال الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت
الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال
انه اغضبني فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا
في التوراة وقيل ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من يليهم
من مشركي العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون
اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدتنا انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي
لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون
وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الامي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود
خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق محمد النبي
الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون
غطفان وصار اليهود يسالونه صلى الله عليه وسلم عن اشياء ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن
جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت امشي مع النبي
صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكا على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود
فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه اي
يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي اذ انتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا
يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح وفي رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت
انه يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح اي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربي
فقالوا هكذا نجده في كتابنا اي التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحي
وتقدم عن صاحب الامتاع انه انما سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح يطلق
بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى عليه السلام وعلى جبريل عليه السلام
وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود انه اي شيء اجابهم به قالوا ليس هو فجاء
الجواب مجملا فكان هذا الجواب ردا لكيدهم لان كل واحد مما ذكر من مأمورات الحق تعالى ولما
انزل الله تعالى في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا
التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وفي الكشاف انهم قالوا
نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم تؤتوا من
العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فانزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسالوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت
نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي الاية
اي وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا

موسى

موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا
محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم
وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما ان تسلما قالا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا يهود اي
وسالوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض اي في اي زمن وما بينهما اي مدة ما
بينهما فقال لهم صلى الله عليه وسلم خلق الله الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال
وما فيها يوم الثلاثاء اي ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران
والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم
الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح اي
لو قلت هذا اللفظ اي لانهم يقولون انه استراح يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل
الله تعالى في قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي
تعب فاصبر على ما يقولون وفي رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال
يوم الثلاثاء وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام
والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما
تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الاسبوع الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد
قيل في سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما
بالقسط الى قوله ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من احبار الشام قبل بعثته صلى
الله عليه وسلم قدما المدينة فقال احدهما للآخر ما اشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر
الزمان فاخبرا بمهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فلما راياه صلى الله عليه
وسلم قالا له انت محمد قال نعم قالا نسالك عن شهادة ان اخبرتنا بها امنا بك قال سلاني فقالا
اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما
فاسلما وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد هذا الذي خلق الجن والانس من خلقه وفي لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب
وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا
عن ربك من اي خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاءه جبريل عليه السلام وقال له صلى
الله عليه وسلم خفض عليك وانزل الله عليه قل هو الله احد الله الصمد الى آخر السورة اي متوحد
في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اي اقتضت ذاته وجوده
مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه انتهى اقول ونزول جبريل عليه السلام بذلك
ربما يدل على انه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له صلى الله عليه وسلم لما
سال عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال له صف ربك كما سياتي ثم رايت بعض الشيخين
وغيرهما ان ابن مسعود رضي الله عنه ذكر في سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر ولعله
باسبابي في قصة اسلام ابن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رايته في الاتقان
ذكر ان سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة
وقال لعل ذلك انها انما نزلت بالمدينة وعلى دعوى تكرر نزولها يقال حيث سبق اولا ونزلت
جوابا كيف يتوقف صلى الله عليه وسلم ثانيا عند السؤال الثاني حتى يحتاج الى نزولها مع تعرضها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)